* تاريخ التنقيبات في مدينة نفر :

م. محمد سياب محان
كلية الآداب / جامعة القادسية

بدأت التنقيبات الاجنبية في هذا الموقع في منتصف القرن التاسع عشر، اذ بدأ العالم الانكليزي ((اوستن هنري ليرد)) Austen Henry Layard التنقيب في هذه المدينة عام ١٨٥١ م بواسطة فتح خنادق في مواضع متفرقة من الموقع ، ثم توقف عن العمل عام ١٨٥٧ م دون ان يحقق أي نجاح يذكر[١]،

غير ان الاكتشافات الجديدة في المواقع الأخرى في بلاد ما بين النهرين شجعت الكليات والجامعات الامريكية ان تولي اهتماماً شديداً بآثار بلاد مابين النهرين. وكانت اول علامة على الرغبة في الاشتراك في اعادة اكتشاف عالم بلاد ما بين النهرين بعثة ارسلها المعهد الاثاري الامريكي عام ١٨٨٤ م مّولت باموال خاصة [٢]. وقد ركزت البعثة اهتمامها في المواقع الجنوبية الرئيسية. وكانت لهذه البعثة نتيجة غير مباشرة تمثلت في خطة طموحة للتنقيب في مدينة نفر وضعتها جامعة بنسلفانيا عام ١٨٨٨ م. ولسوء الحظ افسدت هذه العملية من البداية الخلافات الشخصية المريرة. لاسيما بين هيلبرشت استاذ علم الاشوريات الالماني المولد والمديريين الحلقيين ج، بيترز استاذ اللغة العبرية و ج. هـ . هينز[٣]. وعلى الرغم من وضع خطط دقيقة كانت بداية عمل البعثة سيئة وازدادت سوءاً اذ لم تكن الاموال كافية ولم يكن هناك اشخاص مناسبون للعمل في هذه البعثة بحسب ادعاء هلبرشت الذي شكى من قلة المساعدين المدربين [٤]. كما كان الوضع الصحي في منطقة نفر غير جيد اضافة الى مشكلة التعامل مع افراد العشائر وانتهت الحملة الاولى نهاية مضطربة خاصة بعد ان تم السطو على مخيم البعثة ليلاً وتم حرقه ونهبه [٥]. على ان هذه البعثة لم تتبع انذاك طرق تنقيب علمية وانما اعتمدت اسلوب حفر الخنادق والانفاق وابقاء الاتربة الناتجة عن الحفر على سطح الموقع نفسه مما نجم عنه تشويه وتخريب للطبقات. وكان ذلك كله من اجل تحقيق اكتشافات سريعة ، وهذا ما حصل فقد تم استخراج ما يقارب ١٧٠٠٠ سبعة عشر الف رقيم مسماري بيد انه ضاعت معلومات مهمة اخرى بسبب طريقة التنقيب تلك .

ثم عادت البعثة ثانية في موسم عام ١٨٨٩ – ١٨٩٠ ، وقامت بالحفر في ساحة المعبد والقصر الفرثي ، وكشفت على خزانة الرقم من العهد الكاشي ، وعثرت على ٨٠٠٠ رقيم طيني ، يرجع زمنها الى الالفين الثاني والثالث ق.م. وهذه الرقم وتلك التي عثر عليها في الموسم الاول مكتوبة بكتابات سومرية وبابلية واشورية ، تتضمن مواضيع ادبية ودينية واقتصادية وغير ذلك [٦].

ثم كان هناك موسم ثالث للبعثة برئاسة بيترز عام ١٨٩٣ لغاية ١٨٩٦، وتركز العمل في حارة المعبد الرئيس، وتوصلت في ساحة المعبد الى طبقات من عصور ما قبل التاريخ، وعثرت على تمثال نصفي من حجر الديوريت من زمن الملك كوديا، واجزاء اقداح وآنية من الحجر، كما عثرت على ٢١٠٠٠ رقيم [٧].

وفي عام ١٨٩٨ ولغاية ١٩٠٠ كان هناك موسم جديد للبعثة الامريكية برئاسة بيترز. حيث قامت بفحص تلول متفرقة، واكتشاف خارطة المدينة التي وفقت من خلالها البعثة الى معرفة مواضع المدينة المختلفة وحارتها وسوريها وقصورها ومنطقة المعابد. كما اتمت فحص ١٠٠٠ قبر في اماكن مختلفة، وتمكنت من تحديد دار الرقم التابع للمعبد الرئيس[٨].

لقد تغير اسلوب التنقيب في نفر في العقد الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي فكان اكثر دقة، ولعل نتائج تلك التنقيبات كانت حافزاً وراء تأسيس متحف بنسلفانيا الجديد عام ١٨٩٨ م [٩].

توقفت التنقيبات الامريكية في نفر مع بداية القرن العشرين واستمر هذا التوقف حتى عام ١٩٤٨ م . ولم يمض وقت طويل على اختتام البعثة اعمالها في نيسان عام ١٩٠٠، حتى عادت رياح الصحراء ورمالها الى تغطية اعمال التنقيب، وملء الحفر ، فعادت المدينة كما كانت، وكأن يد المنقبين لم تمتد اليها بالتحري والتنقيب.

واستأنفت البعثة الامريكية المشتركة بين المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو وجامعة بنسلفانيا التنقيب في نفر عام ١٩٤٨ برئاسة ((مكاون)) . ودامت هذه المشاركة حتى عام ١٩٩٠ م وكان مجموع مواسم التنقيب خلال الفترة الممتدة من ١٩٤٨ – ١٩٩٠ تسعة عشر موسماً ((١٩)) . وبدأ موسمها الاول في ٢٠ / ١١ / ١٩٤٨ ومثل دائرة الاثار العراقية ، الدكتور محمود الامين. وتركز العمل في موضعين:

١- مكتبة المدينة المسماة بـ((تل الرقم)) في الطرف الجنوبي الشرقي للمدينة.

٢- حي المعابد في شرقي المدينة. وقد اتبعت البعثة اسلوب القشط والتعميق، واسلوب التنظيف والتوضيح لازالة الانقاض التي خلفتها اعمال البعثة الامريكية التي بدأت التنقيب عام ١٨٨٨ م. وعثرت البعثة في موسمها هذا على الاف من الالواح الطينية مدونة باللغة السومرية والخط المسماري. كما كشفت عن قبور عديدة تعود الى فترات مختلفة .

وباشرت البعثة اعمالها ثانية في ١٠ / ١١ / ١٩٤٩ لغاية عام ١٩٥٠ وقد شارك في التنقيب السيد فؤاد سفر واعقبه السيد محمد على مصطفى من مديرية الاثار العامة العراقية. وتركز العمل في موضعين هما:

الجهة الشمالية الشرقية حيث يقع معبد انليل، والاخر في تل الرقم وقد تم تتبع بقايا معبد انليل، وقد دمرت معظم مرافق هذا المعبد نتيجة حفر الخنادق تم استخراج رقم طينية بشكل منتظم، واختام اسطوانية مسطحة واثار مصنوعة من البرونز والنحاس. وقامت البعثة بترسيم معبد انليل وتخطيطه واستظهار مجموعة غرف وبعض الجدران، وتم رفع تباليط الطبقة الثالثة والرابعة، وكشفت عن المعبد الخامس، الذي وجد تحت انقاض بقايا اسس وجدران معبد اورنمو، كما توصلت البعثة الى اكتشاف معالم معابد قديمة يرجع احدها الى حدود عام ٢١٠٠ ق.م شيده الملك شولكي ومعبد اخر يرجع تاريخه الى ٢٧٠٠ ق.م اضافة الى عثورها على تماثيل من الحجر[١٠] .

واستأنفت البعثة عملها في ٩ / ١١ / ١٩٥١ لغاية ١٩٥٢، وقامت بتنظيف تل الرقم، وتتبع بقايا جدران بعض الحارات، ورفع انقاض الطبقة الرابعة العليا في الحارة (TB)، والكشف عن بعض الطبقات خاصة الثامنة، والنزول الى الطبقة التاسعة، والتي كان فخارها من فخار سلالة بابل الاولى، وسلالتي ايسن لارسا، وعثرت على مجموعة رقم في الطبقة العاشرة، بينها زهاء مئة رقيم، عليها كتابات سومرية عن آداب القصة العراقية عند السومريين، كما تم النزول الى الطبقة الثانية عشرة، وهي في حالة تخريب. وهاتان الطبقتان ((الحادية عشرة و الثانية عشرة)) تعودان الى عصر ايسن لارسا [١١] .

وعادت البعثة لتبدأ عملها عام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، برئاسة ((مكاون))، ومثل دائرة الاثار العراقية السيد عز الدين الصندوق، وتم توسيع بعض الخنادق والكشف عن بعض الغرف من الفترة الاخمينية، الى جانب الكشف عن بعض الجدران. والتنقيب في معبد ((انا)) قرب الزقورة، وفي موضع معابد من عصر فجر السلالات[١٢] .

وبدأ الموسم الخامس من منتصف عام ١٩٥٥، وانتهى اوائل نيسان عام ١٩٥٦، وكانت البعثة برئاسة د. هينس ومثل دائرة الاثار العراقية السيد عبد القادر حسن، وانحصر العمل في معبد ((اننا))، وتم الكشف عن جزء كبير منه، كما عثر تحت البرجين المتاخمين لبوابته على تمثالين كبيرين من النحاس يمثل احدهما الملك اور – نمو إضافة الى نصوص رياضية وفلكية واختام اسطوانية وصور الالهة السومرية واواني فخارية. وكان من بين الرقم الطينية المكتشفة، وثيقة مكتوبة بالخط المسماري باللغة السومرية، تبين من دراستها انها تحتوي على اصول دقيقة مفصلة للطرق الناجحة في الزراعة، يرقى تاريخها الى حدود عام ١٨٠٠ ق.م وتعد هذه الوثيقة الثمينة اقدم تأليف معروف عن الاساليب الفنية للزراعة. كما عثرت على تماثيل نحاسية للملك شولكي في صناديق من الآجر، تحت ابراج مداخل معبد ((اننا))[١٣].

وكانت اعمال الموسم السادس في ١٩٥٧ – ١٩٥٨، قد كشفت عن بناية وحجرات في جنوب غرب الساحة العامة لمعبد انليل داخل سور المعبد، وقد عثر على مجموعة من التماثيل الصغيرة تمثل كلاباً باوضاع مختلفة، لعلها من العصر الاشوري.

وواصلت البعثة الامريكية المشتركة برئاسة ((هينس)) خلال الموسم السابع عام ١٩٦٠ – ١٩٦١، التحري والتنقيب بشكل موسع في معبد ((اننا)) حتى تم التعرف على ٢٣ طبقة بلغ عمقها من سطح التل حتى الارض البكر حوالي ((٦٠)) قدماً. وكان الموسم الثامن ١٩٦٢ – ١٩٦٣ استمراراً للموسم السابع، اذ عملت البعثة على توسيع هذه الطبقات للتعرف على اوجه بنائها ومخططاتها وكانت الطبقات البنائية كما يأتي:

- الطبقات ٢٣ – ٢٢ رملية في الأرض البكر
- الطبقات ٢١ – ١٥ عصر الوركاء
- الطبقات ١٤ – ١٢ عصر جمدة نصر

- الطبقات ١١– ١٠ عصر فجر السلالات الاول
- الطبقات ٩ – ٥ عصر فجر السلالات الثاني والثالث
- الطبقة ٤ عصر سلالة اور الثالثة
- الطبقة ٣ العصر البابلي القديم
- الطبقة ٢ العصر الكاشي
- الطبقة ١ العصر البابلي والاشوري الحديث والمتآخر

إضافة الى طبقتين تعلوان هذه الطبقات وهما من العهد الفرثي[١٤] .

وقد ظهر ان الطبقة السابعة هي اوسع الطبقات واكملها مخططاً، وقد كشف فيها عن اثار سومرية مهمة منها: تماثيل رخام متنوعة رائعة الفن كتمثال المراة الواقفة وهو من الرخام الاخضر الشفاف، وقد صنع الوجه من الذهب، وتمثال الكاهن العاري الجسم، وهو مصنوع من النحاس، ومطعم العينين بالصدف، ومجموعة كبيرة من الاواني الحجرية.

وعثر في الطبقة الثامنة من معبد ((اننا)) على الواح من الحجر نقشت بمناظر طقوسية دينية، كما وجدت في الطبقة ١٩ من معبد ((اننا)) آنية كاملة من فخار قديم جداً رقيق الجوانب، يرتقي زمنه الى عصري جمدة نصر والوركاء[١٥].

واستأنفت البعثة برئاسة ((جيمس نودستاد)) J.knudstad تنقيباتها في الموسم التاسع في ١ / ١١ / ١٩٦٤ ومثل دائرة الاثار العراقية في هذا الموسم الدكتور طارق جواد حمودي ومن بعده سلمى الراضي. وقد انحصر العمل في بناية ذات سور دفاعي وابراج مربعة، تعود الى الفترة الفرثية واستظهرت فيها ثلاثين حجرة ((٣٠))، كما عثرت على المدخل في الزاوية الجنوبية من السور ، الى جانب تحريات في المنطقة الجنوبية الغربية من الزقورة .

وكانت ابرز اللقى الاثرية في هذا الموسم، مجموعة صغيرة من رقم الطين، واواني فخارية، من بينها اناء مصنوع من الفخار المزجج على هيئة قنفذ ووزن على شكل بطه.

واستأنفت البعثة موسمها العاشر في ٢ / ١٠ / ١٩٦٦، وتركز العمل في سور الحصن الفرثي بادواره الثلاثة، وهو السور المحيط بالزقورة والمعابد، وبعدها بدأ العمل في القسم الغربي والشمالي الغربي حول السور الداخلي، والابنية المحيطة به ، وهذا السور مربع الشكل، وذو أبراج دائرية ومربعة على التوالي، كما تم العمل في القسم الجنوبي الغربي، وفي القسم الشمالي الغربي من الحصن الفرثي في الأبنية الواقعة ضمن السور وكانت معظم الآثار المكتشفة في القسم الجنوبي تعود الى العصر الفرثي، اما تلك التي اكتشفت في الأقسام الشمالية فترجع الى زمن اقدم ، وأكثرها يعود الى عصور فجر السلالات.

وركزت البعثة اعمالها في الموسم الحادي عشر في التل الغربي، وفي بناية ساحة الأعمدة، وعند إزالة أنقاض الحفريات القديمة كشفت التنقيبات عن أسس بناية كبيرة تحت قاعة الأعمدة تعود للفترة

الاخمينية، وعثرت البعثة في أسفل طبقة ردم عمقها ((٣)) ثلاثة أمتار على بقايا كسرات من رقم الطين تعود الى العصر البابلي الحديث، وهذا يدل على ان اسس هذه البناية تعود لهذا العصر.

كما كشفت البعثة في النقطة WB عن بيت كبير يمتد طولياً من الغرب الى الشرق، طوله ٢٤ مترا وعرضه ٩ أمتار، وهو يشتمل على ساحتين مستطيلتين وثلاث عشرة غرفة، وتم العثور على مجاميع من الرقم الطينية والاواني والجرار الفخارية والاختام الاسطوانية وطبعاتها، ودمى حيوانية وآدمية.

وبدأت البعثة موسمها الثاني عشر في ٢٤ / ٩ / ١٩٧٣ في النقطة WA الواقعة الى الغرب من زقورة نفر، وذلك لاستظهار معالم بناية ساحة الاعمدة التي كشف عن بعض اجزائها في مواسم سابقة. وهذه البناية تمثل معبداً كبيراً من العصر البابلي الحديث، وقد كشف في هذا الموسم عن جدران المعبد المدعمة بطلعات، وعن سبع غرف تعرضت جدرانها للتخريب وعثر على أوانٍ وجرار فخارية وخرز واساور من النحاس. كما استظهرت بقايا اربع غرف لبناية من الفترة الكاشية، مشيدة بلبن صغير الحجم، تحت الطبقة البابلية الحديثة، وبالنزول بالحفر ظهرت بقايا لبناية ترجع الى عصر سلالة اور الثالثة. وعثر في هذه النقطة على مجموعة كبيرة من الخرز الذهبية، والعقيق والصدف واختام اسطوانية وأوانٍ فخارية ومجموعة مسكوكات ترجع الى الفترات الاسلامية.

وتركز عمل البعثة في المواسم الثالث عشر عام ١٩٧٥ والرابع عشر عام ١٩٧٦ والخامس عشر عام ١٩٨١ – ١٩٨٢ في الزاوية الجنوبية المنخفضة من التل، فكشفت بقايا مهمة للدور التي قد تكون بناية عامة من القرن السابع قبل الميلاد، ويقع مستوى هذه البناية مباشرة تحت سطح التل.

وقامت بوضع المخططات، واخذ الصور للبنايات الرئيسة في المنطقة التي رمزت لها بـ WC والتي استطاعت البعثة الكشف عنها، وقد تمثلت اللقى الاثرية في هذه المواسم بمجاميع من الفخار والتماثيل والاختام والحلي، واستأنفت البعثة برئاسة ((مكواير جبسون)) موسمها السادس عشر في ٧/ ٢ / ١٩٨٥ لغاية ٢٠ / ٣ / ١٩٨٥، ولغرض الوصول الى فهم افضل للتسلسل السيراميكي في الالف سنة الاولى المبكرة، فقد تقرر الحفر في النهاية الجنوبية للخندق TA بحدود مربع طول ضلعه ((١٠)) متر وظهرت مواد من القرن السابع وبضمنها جدران من اللبن. كما اكتشفت تحت الرماد جدران في المربع الشرقي. والبناية التي استظهرت في هذا المكان ، كانت غنية باللقى ، اما اسس الممرات فهي من الجص المخلوط بالطين، وقد كشف في احد غرف البناية عن ستة قبور تحت الارض. كما وجدت تحت البناية بقايا من جدار مبني باللبن وكذلك الادوار المرتبطة به. وفي هذه الجدران والادوار قطع كسر من الاواني الفخارية تعود الى العصر الكاشي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد مثل دائرة الاثار العراقية في هذا الموسم كل من السيدين محمد يحيى وحسن هاشم .

وفي خريف عام ١٩٨٧ قامت البعثة بالتنقيب في نفر للموسم السابع عشر فقد بدأت اعمالها من ١٠ / ٠ / ١٩٨٧، وانتهت من اعمال الحفر في الثاني من شهر كانون الاول ٢ / ١٢ / ١٩٨٧. وقاد

البعثة ايضاً الدكتور مكوايرجبس. ومثل دائرة الاثار العراقية السيد محمد يحيى. وكان الهدف من التنقيبات في هذا الموسم تحقيق امرين الاول التحري في تل صغير يقع على بعد ٥٠٠ متر الى الشرق من الزقورة خارج سور المدينة حيث ان الرياح وحركة الرمال قد كشفت عنه في سنة ١٩٨٥، وتبين من خلال فحص امتدادات جدرانه القليلة ومن خلال الملتقطات السطحية مثل الكسر الخزفية والقليل من المسكوكات، ان استيطاناً قد حصل هنا يعود الى القرن الرابع عشر الميلادي. وقد اطلق على هذا التل باسم التل الاسلامي كما اطلق عليه رمز اصطلاحي هو المنطقة M . والثاني هو معرفة الادوار الحضارية التي مرّ بها سور المدينة الكبير الخارجي. وقد حصلت البعثة على نتائج طيبة في موسمها هذا. اما الموسمان الثامن عشر والتاسع عشر فقد كانا امتداداً للموسم الذي سبقهما حيث اكملت البعثة عملها ومسوحاتها في سور المدينة.

ولعل ابرز ما عثرت عليه البعثة الامريكية المشتركة بين جامعة بنسلفانيا والمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو خلال سني رحلتها في البحث والتحري في مدينة نفر، هو ذلك اللوح الذي وجد على احد الابارق الطينية عام ١٨٨٩ والمتمثل بخارطة مدينة نفر التي تعتبر اقدم خريطة للبلاد في هذه الارض[١٦] . اللوح كان من مجموعة المنقب ((هيرمان هلبرشت)) Hermann Hillprecht والذي اظهر رسماً صغيراً للوح في كتابه ((استكشافات في بلد الكتاب المقدس)) عام ١٩٠٣، ولم يكن بالامكان التعرف على شيء من خلاله. وقد بقي اللوح في بادئ الامر مع مجموعة اخرى من الالواح الطينية قدرت بـ(٢٥٠٠) لوح في جامعة ((ينا)) ((Jena)) في المانيا الديمقراطية انذاك، وعن طريق الصدفة علم صموئيل نوح كريمر الذي تولى منصب هلبرشت العلمي في جامعة بنسلفانيا بوجود هذه الالواح لكنه لم يجد القدرة على الدخول الى الجامعة الالمانية وذلك بسبب ((قيام النازية اولاً وبعدها الحرب ومن ثم الستار الحديدي)). وهكذا الامر حتى عام ١٩٥٥ فقد حصل كريمر على تأشيرة دخول لألمانيا الديمقراطية واستطاع البقاء فيها ١٠ عشرة اسابيع، بعد ذلك اصبح في متناول يده اللوح باعتباره خبير نفر الاول. فقد فهم الخارطة انذاك بانها خارطة نفر واستطاع ان يعرضها بنحو سليم وبذلك عادت خارطة مدينة نفر القديمة ذات ٣٥٠٠ عام الى منقبي نفر عبر الولايات المتحدة الامريكية ومدينة ((ينا)) على شكل صورة وبناءً على الخارطة المكبرة ذات القياسات الدقيقة اوضح مكواير جبسن مرافق نفر القديمة وزقوراتها ومعابدها الشهيرة.

الهوامش :

١- رشيد ، قحطان.، الكشاف الأثري في العراق ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ، ٢٣٧

٢- المصدر نفسه ، ص ، ٢٣٨

٣- بوسغيت، نيكولاس، حضارة العراق و أثاره، تاريخ مصور، ترجمة، سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩١ ، ص ، ٤٤

٤- المصدر نفسه .، ص ، ٤٤

٥- المصدر نفسه .، ص ، ٤٤

٦- رشيد ، قحطان ، المصدر السابق ، ص ، ٢٣٨

٧- المصدر نفسه .، ص ، ٢٣٩

٨- المصدر نفسه .، ص ، ٢٣٩

٩- المصدر نفسه .، ص ، ٢٣٩

١٠-مكاون ، دونالد ، تقرير عن موسم التنقيبات في نيبور ١٩٤٩ ، سومر ، مج ٦ ، ج١ ،١٩٥٠ ،ص،٩٩

١١-المصدر نفسه .، ص ، ٩٩

١٢-المصدر نفسه .، ص ، ١٠٠

13-Uhlig,Helmut.,Die Sumerer,volkam Anfang der Geschichte , Austria ,1976 , p ,72

١٤-بصمجي ، فرج .، نفر ،بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ، ١٥

١٥-رشيد ، قحطان .، المصدر السابق ، ص ، ٢٣٩

16-Peters , Jone ., Nippur or Exploration and Adventures on Euphrates ,vol, I,II, Newyork,1897 , p , 248